مالك الأكوان أرضًا وسما

مالكَ الأكوانِ أرضـــاً وسَما دون جيشٍ زاحفٍ أو حرسِ
بل بحرفَيْ كُنْ تُري من أســـلما موتَ أمريكا وحلفِ الأطلســي
إنما أحببتَ فينا العنفـــوانْ إذْ تحـــرَّرنا وثرنا بالســـلاحْ
وهزمنا في قرانا الأُفعـــوانْ فمضـــى يعوي جريحاً في البطاحْ
نحن أنصـارك لم نرضَ الهـــوانْ بـــل بحبِّ الموتِ نعلو والجراحْ
كنجومٍ في السَّـما تسـري إليكْ سار أبطال الحمى في الغَلَـــسِ
همُّهُمْ أن ينتهوا بين يديـــكْ في لظى الحربِ كِرامَ الأنفسِ
معنا أنتَ فليست تقـــفُ دوننا الأسـلاكُ أو شُـمُّ القممْ
وعـدوٌّ هـاربٌ يـرتجـفُ مـــن حصـونٍ قد ملأناها حِمَمْ
وانجلت نارٌ وظلَّ الشَّـــرفُ كـــل حصنٍ ولنـــا فيه عَلَمْ
نحنُ طهَّرنا القُرى والوطنـــا من شـياطينِ اليهودِ الخُنَّـــسِ
مثلمـــا شئتَ لنا طهِّرْ بنا فـــي غـــدٍ يا ربِّ بيتَ المقدسِ
ليـت قومي إذْ رأونا اعتبروا كيف بالإسلامِ تندكُّ القِـــلاعْ
وبسـوق النار باعوا واشتـــروا مثلنـــا إذ نتفانى في الصـــراعْ
ليتهم بلدانهم قد حـــــرَّروا مثل لبنان جنـــوباً وبقـــاعْ
وا لِقَوْمي سُمِّموا أم نُوِّموا فغدَوا شأن الرَجيمِ المبلـــسِ
هجروا قرآنهم والتزمـــــوا كيف يروي مالكٌ عن أَنَـــسِ
مَكرَ اللهُ بهم إذْ مكَـــروا حكموا الـــشرق معاً والمغربـــا
لبسـوا الدين وفيه كفـــروا وبه كانوا فـــدانوا الشُّـــهُبـــا
فَغَدَوا حين بَغَوا واســتكبروا خاوياً ملكُهُمُ مضطـــربـــا

*****

ورثاهم وأهلَّ الأدمعـــــا من سَـها عن حُكم فكرٍ مُفلسِ
ضيَّعـــوا القرآنَ والملكَ معا وزمان الوصـل بالأندلُـــسِ

جَحِدوا الجبَّارَ جبّارَ السَّمـــا فرمى أندلساً فـــي الهاويـــهْ
وأتَوا خمراً ولهواً ودُمـــــى فـــأتاهم بالدواهي الداهيـــهْ
خســروا المغرب والشــرق وما كـــان عزاً للدهورِ البـــاقيـــهْ

*****

يـــا أُخيّاً في الندامى مُبْتَلَى ظِلْـتَ تهوي في حُمَيَّـا الأكؤسِ
لو تذقْ طعمَ التســامي والعلى طِـــرتَ ما بين الجواري الكُنَّسِ
فيمَ لا أرفعُ قلبي شـاكـــراْ للقريبِ المستجيبِ الحاضـــرِ
لِمَ لا أُبهجُ عيني ناظـــراْ لجمالٍ دون سحـــرٍ ساحـــرِ
كيف لا أجعلُ دهري شـــاعراْ لبديـــعِ الشعرِ ربِّ الشـاعرِ
هو أُنسي بالجمالِ المطلـــقِ وهو نور النـــور للمقتبِـــسِ
فإذا أرنو بعين المنطـــقِ ما أرى غيـــرَ الأنيسِ المؤنسِ
هو من أبدعَ قطراتِ النَّـــدى بلسـماً للروح قبل المقلتـــينْ
هو من أطلق في رحْـبِ المدى كوكباً دار بنا في مشـرقيـــنْ
ويجازي بالهدى أو بالرَّدى أنفســاً قد بثَّها من أبويـــنْ
وهو من أبدعَ نوراً عَجَبـــاْ بين أضـــلاعِ فتىً مُحتـــرِسِ
ثم دُرّيّاً براهُ كـــوكبـــاْ فيه مصبـــاحُ السَّنى المنبجِسِ
معهُ الأنجُمُ في عليـــائهـــا كبَّـــرتْ حباً وأغضتْ خجلا
ومضـتْ كالموج في لألائهـــا للفتـــى تَبني وتُعلي منـــزلا
نوَّر الله على أضـــوائهـــا وبهِ أسرى وأعـــلى المـــوئلا

*****

جـــاعلاً نفسـيَ تاجاً أروعاْ فوق رأســي بالدراري مكتســي
ومن الأنوارِ سبعاً خِلَـــعـــاْ فـــي سناها ما أرى من ملبسِ
ثم قـــد جرَّدني من كل شـيْ صـــورتي والتاجِ والثوبِ الأنيقْ
كلُّ ما قد كان ذا شـأنٍ لديْ باتَ في لا منتهى النورِ العميقْ
وعن الإصعاد حتى مَـــلَـــكَيْ غُيّبا فاغتديا كـــلاًّ طليـــقْ

***

ليس لي إلاَّهُ وانشقَّ الفضـــا فوقَ هامِ الملَكـــوتِ الأقدسِ
صـرتُ في دَهْشٍ ولكن في رضـى يَقِظَ العقلِ زَكيَّ النَّفَـــــسِ
صـــاعداً أسرَعَ من نور المدى عابراً في الملكوتِ الأوسَـــــعِ
ودنا ثم تدلَّى واغتـــدى قـــابَ قوسين ونـــورٍ أروعِ
وليومِ البعث يبقى ســـاجدا نـــاظراً وَعْدَ الأعـــزِ الأرفـــعِ

*****

كبِّرنْ تكبُرْ عن اللهوِ الخســيسْ وتـــرفَّعْ عن كؤوسِ المحتسـي
معكَ اللهُ فيا نعمَ الأنيـــسْ في الوغى أو في قضـايا المجلـــسِ
ربِّ عارضتُ قصيداً نُظِمـــا فيه مدحٌ لأميـــرٍ قرطبيٌّ
طالما طالعتَنـــي مُرتطِمـــا بفقيرٍ راح يستعطـــي غنـــيٌّ
هل رأوا أسمى غنىً أو أعظما منك يـــا خيرَ مجيـــبٍ ووليٌّ

*****

فلقد قال وأغرى الأنجمـــا حينمـــا أندلُسٌ فـــي عُرُسِ:
"جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصـــل بالأندلـــــسِ"
" لم يكن وصلكَ إلاَّ حُلُمـــا في الكرى أو خِلسـةَ المختلسِ"
إنما عارضتُ مبناهُ فقـــطْ فهو في شِرْكٍ كحالِ الغابريـــنْ
نـــالَ من ممدوحِهِ بعضَ النقطْ وأنا نلتُ مـــن الله المئيـــنْ
وهو في الأُخرى سـيُجزى بالغلطْ وأنا فـــي حبِّ ربِّ العالميـــنْ

*****

أن يراكَ الله مدَّاحاً غَـــوى فارتعِـــدْ خوفـــاً وصَهْ لا تَنْبُسِ
لودرى الشـــاعرُما يجني الهوى لتمنَّى صَـمماً فـــي خَـــرَسِ
لكِ يا دنيايَ أن أعترفـــا أنـــا لم أُبغِضْكِ بَدْواً وحَضَرْ
إنمـــا اشتقتُ لربي فالوفـــا عنكِ أن أعلو لأنـــي في سـفَرْ
فبعلبيـــنَ أرجو غُـــرَفـــا ولْتقِرَّ الأرضُ أو لا تستقِـــرَّ